**ختام الموسم**

**ندوة**

**دور وسائل الأعلام**

**في إشاعة اللغة العربية الفصيحة**

**أدارها**

# الأستاذ الدكتور محمود إبراهيم/ عضو المجمع

**وشارك فيها**

**الأستاذ: محمود الشريف. والأستاذ أحمد العناني**

**السبت 20 شعبان 1407هـ/ 18نيسان 1987م**

## كلمَة

**الأستاذ محمود إبراهيم**

عضو مجْمَع اللغـَة العَربيَة الأردني

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:في زمن مضى، كانت اللغة السليمة تكتسب اكتسابا من البيت الذي يعيش فيه الإنسان العربي، أو من مجتمع هذا الإنسان، والبيئة الكبيرة التي كان يعيش فيها. ثم انقضى هذا الزمن، ولم يعد البيت العربي ولا المجتمع العربي الكبير بقادر أو بقادريْن على أن يكسبا الانسان العربي اللغة العربية السليمة. ولذا فقد انتقل الامر من اكتساب تلقائي للغة العربية السليمة، الى تعلـُّم لهذه اللغة عن طريق المؤسسات الثقافية، بدءاً بالكتاب ومرورا بالمدرسة، وانتهاء بالجامعة.

وبمرور الزمن، أصبح لدينا من المؤسسات الأخرى ما له دور كبير جدا في إشاعة اللغة العربية الفصيحة، أولا سمح الله، في تشويه اللغة العربية الفصيحة: إنها مؤسسات الاعلام الذي وصل الى ما يمكن أن نسميه ثورة الاتصالات في عالمنا الحدث. والحديث عن الاعلام وأجهزته القوية ذات الأثر الكبير، إنما هو نافلة من النوافل في هذا الوقت الني نعيش فيه. فكلنا يدرك أثر الكلمة المكتوبة، سواء أكانت في كتاب أم في صحيفة أم دورية أم في نشرة أم ى مُلـْصَقة، وكذلك أثر الكلمة المطرقة التي تخرج من مذياع او تلفاز أو من شريط مسجل. واذا كان الناس من قبل لا يستطيعون الوصول الى اللغة إلا من خلال الكلمة المكتوبة، يخيرون أن يقرأوها أو لا يقرأوها، فقد اقتحمت عليهم في زمننا هذا أجهزة الأعلام بيوتهم، وأصبحوا معرَّضين لهذه الكلمة سواء أرادوا ذلك أم لم يريدوا. وقويَ أثر هذه الأجهزة بتطور التقية الحديثة، فكان هذا التلفاز الملوّن الذي يشدّ العين والاذن في آن معا إلى ما ينقله أو يبثه، والذي يقتحم على كل منا بيته،

لكى يُسمِع صوته للكبير والصفير على السواء، بغض النظر عن أي مستوى ثقافي أو اجتماعي أو اقتصادي لهذا المستمع. ومن هذا كان هذا الأثر الجبار لأجهزة الاعلام في اللغة. واللغة ليست وسيلة اتصال ومواصلة فحسب، بل هي بالاضافة الى ذلك «تصوغ الأحاسيس والأفكار. ولقد حرصت وزميليّ في هذا اللقاء على أن ننحصر قدر المستطاع، بل إلى أكبر حد مستطاع، في نطاق العنوان الذي خططنا له لهذه الندوة (أثر أجهزة الاعلام في إشاعة اللغة العربية الفصيحة). ولذا فان ما نتحدث فيه سوف ينحصر في اطـُر خـُطـِّط َلها أن تكون ملتصقة التصاقا تاما بالموضوع الذي اخترناه.

وهذه الأطر تحتوي أربعة بنود:ا . ما الغرض من حرصنا على إشاعة العربية الفصيحة من خلال أجهزة الاعلام؟ هل هي زينة نتوخـّاها، أم أن الأمر يتعلق بدور وظيفي مرتبط بحياتنا العملية؟

2 . ما الذي نتصور أنه عوامل قصور وتقصير بالنسبة الى أجهزة الاعلام فيما يتعلق باللغة العربية السليمة؟

3 . ما الذي نطلبه ونتوخاه ونتوقعه من أجهزة الاعلام بالنسبة إلى إشاعة العربية السليمة؟

4 . أيّ مقترحات و توصيات محددة يمكن الخروج بها من هذه الندوة؟

أما بالنسبة الى الزميلين الكريمين، فأنني أقصر القول عن كل منهما فيما يلي من المعلومات الموجزة:

فالأستاذ محمود الشريف كاتب وصحفي وباحث إعلامي مخضرم، عمل في حقل الاعلام منذ ثلاثين عاما، وأسس مجموعة من الصحف، منها صحيفة المنار، والأفق الجديد، وجوردن ستار، والدستور، وجمع بين رئاسة التحرير والادارة العامة لهذه الصحف. وقد عمل بين سنتي 1968 - 1974 مديرا عاما لادارة الاعلام في قــَطـَر وأسس فيها التلفزيون القطري، وطوّر إذاعة قـَطـَر، وانشأ متحفها الوطني، ودوائر السياحة والآثار والثقافة والفنون، كما أسس معظم صحف قطر ومجلاتها، وهو عضو في عدد كبير من المؤسسات الاعلامية الاردنية والعربية والدولية، ويشغل حاليا منصب رئيس مجلس إدارة الدستور.

وأما الأستاذ أحمد العناني، فقد تخرج من مؤسسة تعليمية كانت في وقت من الأوقات لها سمة متميزة في العالم العربي بأكمله، تلك هي الكليّة العربية في القدس،

وقد تخرج منها عام 1941، ثم قام بدراسات خاصة عديدة وعمل فترة من الزمن في التدريس، ثم عمل في مكتب أمير دولة قطر في منصب مدير لابحاث التاريخ والوثائق، وذلك بين سنتي 1971- 1986. وقد زاول العمل الاعلامى منذ ما يزيد على خمس وأربعين سنة، وما يزال. وقد ترجم ودقق موسوعة دليل الخليج وتاريخه. وترجم كتاب السياسة المالية للدولة الإسلامية، ونشرت الترجمة في انجلترا في الصيف الماضي، ووضع كتابا بالانجليزية عن التاريخ المبكر لعرب الخليج، إضافة إلى كتابته مجموعة من البحوث الخليجية، وألف مجموعة من الكتب في الأدب، ولا سيما في حقل القصة.

وأول ما نحاول بحثه معا، هو ما الذي نهدف اليه من تطـّلبنا أن تقوم أجهزة الاعلام بدور في إشاعة العربية الفصيحة؟ هل هي زينة أو حلية نريد أن نتحلى بها، أم أن ثمّة أشياء وظيفية عملية تـُبنى على إشاعة العربية الفصيحة من خلال وسائل الأعلام؟

**كلمَة**

**الاستاذ محمود الشريف**

رئيس مجلس إدارة الشركة الأردنيَّة للصَّحافة والنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الاستاذ الفاضل رئيس مجمع اللغة العربية الاردنيحضرات الاساتذة الاكرمينحضرات السيدات والسادة:أود أولا أن أشكر مجمع اللغة العربية على دعوتي للمشاركة في هذه الندوة التي تبحث فيما يمكن تسميته (بأزمة اللغة الفصيحة) ودور وسائل الإعلام في إشاعتها بين الناس. فاللغة الفصيحة تعاني من إهمال واضح في مجتمعاتنا العربية. ووسائل الاعلام تتحمل قدرا من المسؤولية في هذه الحال التي آلت إليها لغتنا الفصحى.

ولعلني لست بحاجة إلى الاسهاب في الحديث عن أهمية وخطر وسائل الاعلام في المجتمعات الحديثة . إذ لا شك عندي في أنكم قرأتم وسعتم الكثير عن هذا الموضوع. بل إنكم تلمسون الاعلام وخطره في حياتكم وحياة عائلاتكم كل يوم.فوسائل الاعلام (خصوصا تلك التي تخاطب الجماهير الواسعة في الأمة، وأعني بها الصحافة والاذاعة والتلفاز) أصبحت تتدخل و تؤثر في أدق تفاصيل حياتنا اليومية. وهى في اقتحامها لحياتنا، ومحاصرتها لنا في الليل والنهار، أصبحت تؤثر في طريقة تفكيرنا، وتحدد لنا أولوياتنا وردود فعلنا إزاء الأحداث، وتشكل لنا ولأولادنا وبناتنا وزوجاتنا أنماط السلوك، والاذواق، والمبادئ والقيم التي تقود مسيرتنا في هذه الحياة، وبالتالى أصبحت تتدخل في صياغة حاضرنا ومستقبلنا معا.

لذلك لا عجب أن يصف بعض الناس هذه الظاهرة، ظاهرة سيطرة الاعلام على المجتمعات الحديثة، بأنها (ثورة). ويصف العصر الني نعيش فيه بأنه عصر (ثورة الاعلام).

غير أن لهذه الثورة كما تعلمون حسناتها وسيئاتها، وفوائدها ومضارها. فاذا كان من حسناتها أنها كسرت احتكار (المعرفة)، وجعلتها بعد أن كانت حكرا للقلة المتعلمة أو المثقفة، مشاعا بين الملايين من البشر، فان من سيئاتها أنها تهدد بكثير مما تنشره

و تذيعه بين الناس، الثقافات الوطنية للشعوب، و تشكل خطرا على تقاليدها ومواريثها وخصائصها المميزة.

وإذا كان من حسنات ثورة الاعلام أنها حطمت حواجز الزمان والمكان، وجعلت من هذا الكوكب الأرضي (قرية) صغيرة تتجاور فيها الاديان والاجناس والثقافات، فان من سيئاتها أنها فتحت الأبواب على مصاريعها، لهذا الفيض الهائل من صور الترويج والاغراء اللذيْن تصبهما على الناس عن طريق الافلام والبرامج والمواد المستوردة وفرضت عليهم بذلك أنماطا سلبية من السلوك، تتناقض في كثير من الحالات مع تقاليد المجتمع، وتهدد تراثه الثقافي.

فاذا كان هذا هو خط الاعلام في صياغة (الذوق العام) للشعب، فما هو إذن موقفها من اللغة الفصيحة ود ورها في إشاعة استعمالها في المجتمع؟

إننا إذا نظرنا في القوانين والأنظمة التي أنشئت بموجبها وسائل الاعلام الرسمية (وأعني هذا الاذاعة والتلفزيون)، لا نجد نصوصا واضحة تلزم المؤسستين بأداء دور معين في اشاعة اللغة الفصيحة بين أبناء الشعب. ولعل السبب في ذلك (إذا أردنا ترجيح حسن النية) يعود الى الافتراض بأن المسؤولين عن الاعلام الرسمي، سيحرصون من تلقاء أنفسهم على الاعلاء من شأن اللغة الفصيحة، فيما يقدمونه للناس من برامج وموضوعات، باعتبارها اللغة الأم التي لا تحتاج الحفاوة بها، والاهتمام بأمرها الى نصوص أو قوانين. ولكن إذا صح وجود مثل هذا الافتراض عند الذين سنوا القوانين المؤسِّسَةِ لوسائل الاعلام الرسمية، فان النتائج التي نلمسها تكشف بأن العاملين في الاذاعة والتلفزيون، لا يحسون بمسؤولية خاصة تجاه إشاعة استخدام اللغة الفصيحة في أوساط الجماهير، شأنهم في ذلك - للأسف - شأن مؤسسات الاذاعة والتلفزيون في سائر أرجاء الوطن العربي الكبير.

أما الصحافة فشأنها مختلف نوعا ما، حيث أنها تنشر مادتها في الأساس باللغة المكتوبة التي هي الفصحى، على الرغم مما نلاحظه في فصحى الصحافة أحيانا من خروج على قواعدها في النحو والصرف، ومن تلويث لها بالألفاظ العامية أو الدخيلة، أو استخدام خاطئ للألفاظ على غير ما تدل عليه معانيها الصحيحة. ولكن لا بد من

الاعتراف بان اللغة الفصيحة المستعملة في الصحافة العربية اليوم، تختلف اختلافا بينـّا عن الفصحى التي عرفها العرب في الماضي. ذلك انه يستحيل الكتابة اليوم بلغة الزمخشري والحريري. (وسأعود لتفصيل هذه النقطة بعد قليل). كذلك فان فصحى الصحافة العربية اليوم تختلف حتى عن الفصحى التي كانت تكتب بها الصحافة العربية في مطلع هذا القرن، حيث أصبحت فصحى مبسطة، سقطت منها بالضرورة أشكال السجع، والوان الزخرفة اللفظية التي سادت الكتابة الفصحى الى عهد ليس ببعيد. فهذه جريدة (لسان الحال) التي صدرت في بيروت منذ مائة عام تلتزم في افتتاحيتها بالفصحى المسجوعة. وها هو صاحبها الماروني خليل سركيس يبدأ الافتتاحية بقوله: (الحمد لله الذي يُسبَّح بحمده في الغدو والآصال، ويـَنـْطِقُ مفصحاً بتعدد آلائه (لسان الحال).. حمدا يدوم آناء الليل واطراف النهار، ما غرّد قمريٌ وترنم هزار.. ثم تمض الافتتاحية كلها على هذا النحو المسجوع. بل إن افتتان زملائنا الصحفيين في تلك الايام بأساليب الأداء القديمة للغة، دفع بعضهم الى استخدام الشعر في رواية الاخبار. فهذه جريدة كان يصدرها في مطلع القرن صحفي يدعى أمين ناصر في ساحل بيروت، تصف عاصفة شديدة ألمت ببلده (جزين) وسببت خسائر مالية كبيرة بقصيدة شعرية تقول:

ولقد غدا شجر الصنوبر مالئاً تلك الربوع وبالألوف تـَّقـَدّرا(والجوز والزيتون وكذا السقوف عن المنازل بالعواصف طـُيرا)وديار (تيما) لم يعد لسقوفها أثر... وقد أوت الوحوش الى القرى

والثلج قد غطى الديار جميعها وانسدت الطرقات حتى لا تـُرى

واذا نحن شكونا غربَة َالفصحى في ديارنا هذه الايام، فاننا قد نجد بعض العزاء فيما نقرؤه عن حال الفصحى التي كانت تستخدمها بعض الصحف العربية منذ نصف قرن. فها هو اديب العربية المرحوم مصطفي صادق الرافعي، ينعي على أمته في زمانه، إهمالها شأن الفصحى فيما ينقله عن الحال المزرية التي وصلت اليها فيما كتبته احدى الصحف والتي كانت تصدر في (طنجة) وهي تتحدث عن فريضة الحج. تقول الصحيفة: (الكعبة مبنية من طرف إبراهيم خليل الله. ولكن بمرور الدهر والازمان، وبتأثير سيلان وامطار قد خربت مرارا. ولكنها تصلحت من موادها القديمة واحجارها الابتدائية.

وحجر الاسود موضوعة بمحلها يد المباركة المحمدية ****. ونظرا للتواريخ القديمة إن

ان ماء زمزم خرجت من ضربة قدم سيدنا اسماعيل ومن المعاني والمباني... زيارة بيت الله المقدس.. أهم المادة وهي اجتماع مسلمين العالم في كل سنة في الاراضي المقدسة الحجازية بتأييد الولاء والمخالصة بين العالم الإسلامي».

ان صحافتنا العربية اليوم على الرغم مما نأخذه عليها من تقصير في شأن الفصحى، هي على وجه اليقين، أكثر حفاوة بالعربية من صحيفة طنجة، وأكثر التزاما بالاسلوب الصحفي الحديث في صياغة الاخبار من جريدة لسان الحال!

غير أن ذلك لا يبني أن يحجب عن أعينها حقيقة هبوط مستوى الاهتمام باللغة الفصيحة بصورة عامة في الصحافة العربية، وان كانت هناك بطيعة الحال فروق بين صحيفة وصحيفة وقطر وقطر. فالصحافة المصرية مثلا تميل اكثر من غيرها لاستخدام العامية المصرية في تعليقاتها ومعالجاتها. ومن شاء فليقرأ المجلات التي تصدر عن دار روز اليوسف، وبالقياس نلاحظ أن هناك اهتماما واضحا بسلامة اللغة العربية في جريدة (النهار) اللبنانية، وهكذا..

أعيد القول بأنه وان كانت هناك فروق لا يسمح الوقت باستعراضها وتحليلها (ولعل مجمع اللغة العربية الاردني يقوم باعداد مثل هذه الدراسة ونشرها)، فان الصحافة العربية لا تعطي الاهتمام الواعي المطلوب لقضية اللغة الفصيحة، وأساليب إشاعتها بين الناس. ولكن الصحافة تظل على كل حال أكثر حفاوة بالفصحى من الاذاعة والتلفزيون. ولعل من أسباب نلك أن الصحافة موجهة باللغة المكتوبة للفئات المتعلمة في المجتمع، بينما

الاذاعة والتلفزيون تخاطب جماهير المتعلمين والأميين على حد سواء، ولهذا فهي تراوح بين استخدام الفصيحة والعامية في موادها الإعلامية.

ولما كانت الاذاعة والتلفزيون يخاطبان الناس على اختلاف أعمارهم وأذواقهم ومهنهم ويخاطبان ابن المدينة وابن الريف، وابن البادية، فهما مضطران الى المزج بين استخدام اللسان الفصيح واللسان العامي، بحسب ما تقتضيه طبيعة المادة الاعلامية نفسها والمستوى التعليمي للغة التي يوجه اليها الخطاب.

وبعبارة أخرى، فان التنوع في طيعة المستمع أو المشاهد، فرض تنوعا في طبيعة اللسان الذي تقدم به المادة اليه. وقد نجم عن ذلك (تقاليد) معينة في استخدام اللغة التي تقدم بها برامج الاذاعة والتلفزيون، تبنتها جميع الاذاعات العربية .فمن هذه التقاليد على سبيل المثال أن تقدم الاخبار والتعليقات السياسية والبرامج الثقافية والدينية وما شابهها باللغة الفصيحة، وان تقدم البرامج الغنائية، وبرامج التسلية والمسابقات والبرامج الموجهة للاطفال وربات البيوت وسكان الريف باللغة العامية بل اننا نلاحظ ان المسلسلات التي تتناول حياة الناس في هذا الزمان (سواء ما ننتجه منها في الاردن أو ما نستورده من مصر ومن غيرها من البلدان الشقيقة)، يقدم باللهجة العامية المحلية. والمسلسلات التي تدور أحداثها في بادية الاردن مثلا لا تقدم باللسان العامي فحسب، ولكن باللهجة البدوية، بينما يختلف الأمر إذا كان المسلسل يتناول فترة في التاريخ العربي الاسلامي القديم، فانه يقدم بالفصحى التي يفترض أنها لغة ذلك العصر.

وهكذا فان المادة المذاعة تفرض لهجتها، وليس في ذلك فيما أرى عيب أو تقصير. ذلك أنه لا يدور بخلد أحد أن يُقـَدَّمَ برنامج موجّه للفلاحين في الأردن مثلا عن وقاية أشجار الفاكهة من الحشرات الضارة أو لربات البيوت عن صنع الحلوى باللغة العربية الفصيحة.

إن علينا ان نعترف إذن بحتمية هذا المزج بين العامية والفصحى فيما قدمه الاذاعة والتلفزيون للناس من مواد اعلامية متنوعة. غير اننا مع ذلك كله، نحس أن من واجب الاذاعة والتلفزيون أن يسعيا إلى إشاعة الفصحى والى تقديمها على العامية كلما كان ذلك ممكنا.

كذلك فاننا ندعو الى أن تـُقـَرَّبَ البرامج التي تقدم بالعامية في الاذاعة والتلفزيون من الفصحى قدر الامكان، وبعبارة اخرى أن تكون عاميتـُها نوعا من الفصحى المبسطة، فذلك أدعى لتعويد آذان الناس على سماع الفصحى، والتعلق بها، والاقتراب منها حتى في أحاديثهم العادية وتعاملهم بعضهم مع بعض. كذلك نرجو أن تتخلص البرامج التي تقدمها الاذاعة باللغة الفصيحة، من كل ما يشوبها من اعوجاج، وتلوث، وعجمة، وانيتقيد المذيعون والمذيعات بأصول النحو والصرف، وان ينطقوا الألفاظ نطقا صحيحا، وان يحاولوا ما وسعهم الجهد مطابقة الكلمات لمدلولاتها في اللغة وتطهير اللغة السياسية المستعملة في وسائل الاعلام من عبارات المبالغة، والصيغ اللغوية البرّاقة التي تجعل المواطن العربي يشك في صحة ما يسمع، خصوصا اذا كان الواقع الملموس يناقض الصورة التي تحاول أن ترسها وسائل الاعلام.إننا نرجو أن نتعلم الدقة في استعمال الالفاظ، بحيث يكون المعنى على قدر المبنى لا ينقص عنه ولا يزيد عليه. ذلك أن لغتنا العربية قد أصبحت تتهم بأنها لغة (فضفاضة) قاصرة عن ترجمة ما في الوجدان بالدقة المطلوبة. وليس العيب في اللغة وانما في أسلوب استخدامها. وفي هذا يقول الدكتور زكي جابر: "لقد أصبحت أجهزة الأعلام العربية (مجرشة كلام) تطحن الملايين من الكلمات التي تفتقر إلى دقة المعنى، ولهذا فان المبالغة التي تحفل بها اللغة العربية السائدة في وسائل الاعلام قد تركت بصماتها على المدركات، بحيث أصبحت المغالاة والمبالغة من ميزات السلوك عند الفرد العربي. وحلت الكلمات لديه محل الافعال".

وانه لمما يحزن الغيارى على اللغة الفصيحة، أن يلاحظوا أن إذاعة لندن البريطانية الناطقة بالعربية هي الأكثر احتراما للغة من سائر الاذاعات في الوطن العربي. ويبدو ذلك أكثر ما يبدو في نشرات الأخبار. وإنك لتلاحظ حرص المذيعين في تلك الاذاعة على الدقة في اختيار الالفاظ المناسبة للمعاني، وعلى سلامة النطق، والتقيد بقواعد النحو والصرف. وهي أمور لا تحظى للأسف الشديد باهتمام أقرانهم في الاذاعات العربية. واذا كانت إذاعة لندن قد فرضت على العاملين فيها احترام اللغة الفصيحة، فلست أدرى لماذا يكون عسيراً على إذاعاتنا العربية أن تحذو حذو الاذاعة البريطانية، وان تنسج على منوالها.

وقد يتساءل بعضكم لماذا تقف أجهزة الاعلام العربي هذا الموقف من اللغة الفصيحة؟ هل هو الإهمال وحده ؟ أم أن هناك عوامل أخرى ينبغي أن تكون موضع الدراسة والتحليل.

لا شك أن الاهمال واللامبالاة هما سببان أساسيان في موقف وسائل الاعلام من اللغة الفصيحة. ولكن هناك أسبابا أخرى تتجاوز الأعلام ووسائله، تتصل أولا بموقف المجتمع كله من قضية الفصحى، وثانيا بموقف الفصحى من الحياة.

فالإعلاميون هم في نهاية الامر نتاج عصرهم وثمرة المناخ السائد في مجتمعاتهم.**أول هذه الأسباب** فيما أرى هو نظام التعليم في بلادنا العربية، حيث تدنى الاهتمام بتعليم اللغة الفصيحة للاطفال والراشدين على حد سواء، وادى انتشار المدارس ورياض الاطفال الاجنبية الى خلق المنافسة في نفوس أطفالنا بين اللغات الأجنبية التي تعلمها هذه المدارس وبين اللغة الأم في سنوات التكوين النفسي والذهني للطفل العربي، وهي السنوات

التي يتشكل فيها ذوقه، وتتبلور فيها شخصيته، ويكتسب صفات واذواقا معينة، تظل معه طول العمر.

ولعلني لا أبالغ إذا قلت إنّ من أكبر الكوارث التي حلت باللغة الفصيحة هي أننا سمحنا بتلويث ثقافة الطفل العربي ووجدانه ونظرته، بالثقافة الاجنبية وباللغات الاجنبية، وهو ما يزال طري العود، وغرسنا في ذاتيته هوان لغته الأم بالقياس للغات اخرى.

أليس لنا أن نتساءل والحالة هذه: كيف يمكن لطفل عربي تخرج من هذه المدارس وهو يرطن باللغات الاجنبية، ثم التحق بالمدارس الابتدائية فالثانوية، ثم دخل الجامعة، حيث تلقى حظا قليلا من اللغة الفصيحة على أساس أنها (مادة) في مناهج الدراسة، وليست كما ينبغي ان تكون عنوانا لوجوده وتعبيرا عن قوميته، كيف يمكن لهذا الطفل بعد أن شَبََّ عن الطوق وتخرج من الجامعة طبيبا أو مهندسا أو محاميا أن يحترم لغة لم ينشأ على احترامها وهو صغير؟ وكيف يمكن له ان يتكلّمها من غير لحن أو اعوجاج وقد غرسنا في أعماق أعماقه منذ الصغر أنّ دراسة اللغة الوطنية ليس هدفا متصلا بوجوده كانسان في مجتمع يحترم لغته وتراثه وانما هي مجرد جسر يجتازه للحصول على الشهادة؟

ان اللغةَ كما تعلمون أيها السيدات والسادة، ليست مجرد (مادة)علمية في مناهج الدراسة، وانما هي أكبر واخطر من ذلك بكثير. فهي مادة الوجود الانساني ذاته، هي عنوان شرف الامة والشارة التي تميزها عن غيرها من الامم. هي ذاكرة الامة والوعاء الذي يحفظ تاريخها، وهي المستودع الاكبر الأمين لكل التراث الاجتماعي . وهي أيضا العامل الأوحد لنشر هذا التراث بصورة مشتركة بين أبناء الأمة. بل هي علة ضم أفراد الامة بعضهم الى بَعْض. بها يتسلم الجيل الطالع المتواري نظرته في الانسان، والطبيعة، والخالق، فهي إذن همزة الوصل بين أجيال الأمة. لقد وعت الامم العظيمة هذه الحقيقة فأنزلت لغتها القومية أرفع المنازل، وتباهت بها في اعتزاز وكبرياء. وفي هذا يقول (برتراندرسل) إن الاستعلاء العرقي للشعب الألماني عند الفيلسوف نيتشه ينبع في حقيقته من نظرته لسمو اللغة الالمانية، وعظمتها، واستعصائها على التلوث والتهجين .

ويقول الدكتور كمال يوسف الحاج في مؤلفه الرائع عن فلسفة اللغة «من أجل ذلك، كان عظيما جدا خطأ الذين يفرضون لغة اجنبية كأداة للتدريس على التلميذ دون سن العاشرة.

فكأنهم يفرضون عليه أن يعيش غير تاريخه، أن ينتسب الى أجداد غير اجداده، وان ينتمي الى غير فصيلته، الى غير أمته، وان يتصرف بلسانه عكس منطق العفوية التي فطره الله عليها. إنّ معارف مثل هذا الجيل هي ضرب من الزنى الفكري المخرب لعفاف التاريخ القومي. ولذلك من المستحسن أن ينتظر الولد ريثما يكون قد اكتسب لغته الأم، قبل أن يقدم على دراسة لغة ثانية. إنّ من الضروري أيضا تعليمه في مرحلة الصغر النطق الصحيح، والتعبير القويم والقواعد اللغوية السليمة. لان الولد الذي يتدرب على صحة التعبير، يتدرب على صحة التفكير. اذ التعبير والتفكير جوهر واحد. فاذا اعتاد الولد من صغره سماع اللغة الصافية، تعلم طرق استخدامها بغير عناء. وكل الأمم الراقية وعت هذه الحقيقية النفسية والتربوية، فلم تسمح بتسرب لغة أجنبية الى قلوب الاولاد دون سن العاشرة»

ثم يمض الدكتور الحاج فيقول: لقد دّلتْ جميعُ الأبحاث النفسية واللغوية على أنّ الولد الذي يزاول لغة ًأخرى مَعَ لغته القومية، وهو دون العاشرة، تضعف طاقته الاستيعابية بين لغتين. واحدة يتكلمها بتلقائية وواحدة يتكلمها بجهد في اللسان والفكر، مما يجعله يتذبذب بينهما، بدلا من أن يستقر في حضن لغته القومية. وهكذا يتوزع الولد بين تاريخين وعبقريتين. حيث ان لكل لسان عبقرية خاصة. فإذا استطاع المرء لفترة من الوقت أن يوفق بين لسانين في صغره، فإنه يعجـِزُ عن نلك في كبره. إذ لا بد لاحدى اللغتين من أنْ تسيطر على الثانية. لا مجال لازدواجية لسانية في آن واحد، لانها عكس شريعة الحياة ومنطق الواقع الانساني.

وها هو الدكتور يروي لنا قصته الذاتية وكيف نشأ يتعلم الفرنسية والعربية في المدارس الاجنبية، ثم سافر الى باريس واكتشف هناك نسق لغته القومية، فظل يكافح حتى استعاده. وهذه القصة المؤثرة جديرة بأن يتعظ بها كل المربين الذين يتصدون لتعليم الطفل في بلادنا العربية.

يقول الدكتور الحاج «لقد شعرت في باريس بانني بَعُدت عن نقاء العربية، فسليقتها الرفيعة في القلم، ومجراها السريع في الاداء. ثم شعرت من جهة أخرى بأنني لم أدنُ من نقاء ِالفرنسية فسليقتها الرفيعة في القلم، ومجراها السريع في الأداء. وهكذا ترنحت مضغوطا بين لسانين مبتورين فيّ...بَعًُدتُ عن صفاء اللغة العربية، وعن بداهتها في اللسان، ورشاقتها في الكتابة. بعدت عنها لأنني هجرتها كتابة وقراءة ومشافهة.

وفي الوقت نفسه، لم يعد ممكنا لي أنْ أدرك َعَفاف اللسان الفرنسي أي عبقريته (يقول هذا وهو الذي ترجم كتب الفيلسوف برغسون إلى العربية ).

لم يعد ممكنا لي أن أدرك عفاف اللسان الفرنسي، لان مهدي بلاد الشرق، وأرضي وسمائي وهوائي وشعبي وخلاني من بلاد الشرق. وهكذا عدت للغتي الأم اكتب بها. ذلك ان الانسان لا يكتب بأنامله وانما يكتب بكيانه كله. بجسمه، بروحه. يكتب بماضيه وماضي قومه. ويكتب بمناخ الطبيعة التي ولد في أحضانها»

نخلص من هذا العرض الى أهمية ترسيخ حب اللغة الفصيحة في أعماق الانسان الاردني والعربي منذ نعومة أظفاره. وتحضرني في هذا المقام مقارنة بين الذين يدرسون في رياض الاطفال الحديثة، وبين الجيل الني درس اللغة العربية في (كتاب القرية). واذا كان من العدل أن نعترف بأن رياض الأطفال والمدارس الابتدائية الحديثة، قد ادخلت في تعليم الناشة دروسا ومواد لم تكن تتاح لطلاب (الكتاتيب) فان لكتاب القرية فضل السبق على المدرسة الحديثة في جانب مهم وهو تركيز اللغة العربية الفصيحة في وجدان الاجيال التي درست فيه، وله الفضل فيما منَّ الله به على هذه الاجيال من حب للفصحى، نراها في استقامة ألسنتهم ونفورهم من العجمة، والاصرار على اختيار الاروع والاساس من أساليب التعبير. كان هذا الجيل يحفظ في (كتاب القرية ) عن ظهر قلب ثلث القرآن أو نصفه، دون أن يدرك - أحيانا- تفسير ما يقرأ أو معانيه. والويل كل الويل لمن كان يلحن أو يخطى في نطق كلمة أو آية. كان يحفظ عن ظهر قلب المعلقات السبع ومختارات من الشعر الجاهلي والعباسي وشعر المتأخرين والشعر الحديث. وكان بعد انتقاله لمراحل الدراسة المتوسطة والعليا، يقرأ ويحفظ لأساطين الفكر والشعر والأدب العربي الحديث من أمثال العقاد وطه حسين والمازني والرافعي وشوقي وخليل مطران وحافظ ابراهيم واسعاف النشاشيبي وابراهيم طوقان والرصافي وغيرهم.

كان يتخاطف مجلة (الرسالة) ويستمتع بالقراءة لتلك النخبة العظيمة من رواد الفكر، وعمالقة القلم، على صفحاتها، وكان يشترك في جمعيات مدرسية للخطابة والمناظرة والتمثيل والمطالعة (كان يعيش الفصحى ويستنشقها آناء الليل وأطراف النهار.

هكذا نشأ هذا الجيل على حُبّ اللغة الفصيحة، وانغرس تعظيمها واحترامها في صميم وجدانه منذ ُالصّغر. فهل تجدون في تعليم اللغة الفصيحة في المدارس الحديثةاليوم شيئا من هذا الذي ذكرت؟ أين من يحفظ بغير لحن جزءاً واحداً من القرآن الكريم من بين طلاب المدارس الابتدائية ورياض الأطفال؟ وانا هنا لا اتكلم عن حفظ القرآن باعتباره واجبا دينيا على الطفل المسلم.

ولكنني أتكلم عنه من حيث هو غرسٌ لراية اللغةِ الفصيحةِ وحلاوة البيان الالهي في صميم وجدان الطفل العربي, مسلما كان أم غير مسلم. فها هو المحامى القبطي المصري الاشهر مكرم عبيد الني كان صوته يدوّي في ساحات القضاء ببلاغة عربية لا أروع منها ولا أحلى، يرد الفضل في إمساكه بناصية البيان إلى حفظه لأجزاء كثيرة ٍمن القرآن الكريم.

لذلك فإنني اعتقد انه ليس كحفظ القرآن الكريم, والنثر الجيد, والشعر الاصيل وسيلة لغرس اللغة الفصيحة في فطرة الناشئة, بحيث يتشربون عبقريتها, ويتصلون بروحها ويشبون على عشقها, و تنمو السنتهم على التحدث بها بغير عناء.

أنني أتساءل: هل توجد في عالمنا العربي اليوم مجلة كالرسالة أو الثقافة, ترفع لواء اللغة الفصيحة, وتتيح لطلابنا أن ينهلوا من نبعها الصافي؟ بل اين فيمن يكتب اليوم من ادبائنا من يعنى بدقة العبارة وجمال الاسلوب مثل الرافعي والعقاد, وطه حسين، والنشاشيبي, بحيث تتلمذ على ايديهم الاجيال الشابة؟

إننا نعيش - أيها السيدات والسادة - في عصر السرعة...عصر (السندوتش)....عصر الأدب المعلب والأفكار المعلبة, واللغة المعلبة! إن أبناءنا يتتلمذون على مجلات الشبكة والموعد, والموتور وعالم الفيديو, وعالم السيارات. نحن نعيش عصر الأدب المطلسم والشعر الطمطماني الني لا يفهمه - على الأغلب - حتى ناظموه. نعيش عصر الدعوة المشبوهة لا تزال الفصحى عن عرشها نهائيا واستبدال اللهجات العامية بها، عصر الكلام الفارغ الني يسيل أنهارا على صفحات الصحف والمجلات، وفيه من الزبد الغث أكثر مما فيه ينفع الناس ويمكث في الأرض.يقول المدافعون عن الغموض في الأدب الحديث الني ابتليت به لغتنا الفصيحة في زماننا هذا، يقولون إن هذا الأدب تعبير عما يجيش في صدور الشعراء والكتاب، وانه ليس ثمة ضرورة أنْ يفهم الناس ما يقولون وما يكتبون. ولكن هل اللغة إلا مرآة تعكس ما في الوجدان؟ إن وضوح الفكرة يؤدي إلى وضوح التعبير. والمبنى الواضح كما يقول الدكتوركمال الحاج «وليد معنى واضح. والرديء الوحشي من الالفاظ يعكس رديئا وحشيا من المعاني. والالفاظ المبهمة والغليظة النافرة القلقة, هي في أمامها معان مبهمة غليظة نافرة قلقة. ذلك ان الالفاظ لا تقصر عن المعاني ولا تزيد عليها وإذا انجلت الكلمات انجلت الذهنيات, وتعطلت نيات النفس واذا انجلت الكلمات انجلت الذهنيات، واستقامت نيات النفس».فاذا كانت هذه هي حال العصر، وحال الاهتمام بالفصحى في بلادنا العربيّة وحال (المناخ العام) في الثقافة الرابحة، فكيف يراد للاعلام ووسائله ورجاله, أن يظلوا بمنجاة من كل هذه المؤثرات السلبية، قلاعا معزولة تدافع عن شرف الفصحى في وجه مد جارف يهددها، ويحاول اقتلاعها من الجذور؟ ان المشكلة كما قلت, تتجاوز الاعلام واجهزته لتتصل بموقف المجتمع كله وموقف الذين يضعون سياسات التعليم للاجيالالصاعدة من اللغة القومية.ان المرء ليساوره الشك أحيانا بأن فينا من يخجل من عروبته, ويستحي من الانتساب للغتها وتراثها وتاريخها. فبعض العائلات الموسرة في بلادنا العربية تعلم أطفالها عندما يبدأون النطق أسماء الأشياء باللغات الأجنبية على، أساس أن الكلام بها من علامات التحضر والتقدم وبنهم من يستأجر لأطفاله مربية انجليزية او فرنسية لا لشئ الا ليأخذوا عنها لغتها منذ الصغر، ولئن أردنا أن نـُدخل علم النفس في تحليل هذه الظاهرة فاننا لا مناص منتهين الى أن هذه اللغة من الناس، تحس في داخلها باننا امة مهزومة، عليها أن تفر من لغتها وتراثها إلى لغة وتراث الآخرين.نأتي الآن إلى موقف اللغة الفصيحة من الحياة, ذلك أن قصور اللغة, أية لغة عن مجاراة التطور الواقع في مظاهر الحياة، ينبذها خارج تيار التاريخ ويقض عليها بالاضمحلال فالزوال. وهناك لغات كثيرة بادت, لانها عَجَزَتْ عن التكيّف مع مقتضيات التجدد الني تفرضه سنة الوجود.

فاللغة العربية وأساليبها تتطور بتطور الحياة نفسها، وهذا الناموس يسري على كل اللغات. ولا أظن احداً يكتب الانجليزية اليوم بلغة شكسبير، او الايطالية بلغة دانتى. غير ان الذين يكتبون من ابناء هذه الشعوب اليوم, يتعلمون لغتهم الفصيحة منذ الصغر، ويحترمونها أشد الاحترام, ويحرصون كل الحرص على التقيد بقواعدها في النحووالصرف, ولا يتجرأون على الدعوة لاحلال اللهجات العامية محلها. ولعلنا حين ندعو إلى احترام اللغة الفصيحة, واشاعة استعمالها في بلادنا، لا ندعو إلى إحياء لغة الجاحظ. الحريري في النثر أو لغة عمرو بن كلثوم والحطيئة في الشعر. ولكننا ندعو إلى المحافظة على (جوهر) اللغة الفصيحة, والاهتمام بنحوها وصرفها وغرس احترامها في نفوس الناشئة من خلال تدريبهم على دقة التعبير, وسلامة الأداء, وصحة النطق، واستعمال اللفظ الفصيح مكان اللفظ العامي ما دام مؤديا لمعناه, كل ذلك مع التسليم بضرورة تطويع اللغة نفسها لمقتضيات العصر ولحاجات المجتمع, وبالاساليب نفسها التي طوّع بها السابقون اللغة لحاجات عصرهم.

ان هناك من يدعو إلى احلال اللهجات العامية محل الفصحى في الأدب والشر والمسرح جملة. وهناك من يدعو إلى إحلال اللهجات العامية من الوجود وإحلال الفصحى مكانها في كل شيء. وكلتا الدعوتين فيما أرى محكوم عليها بالفشل لمعارضتها منطق الحياة. فالدعوة الاولى هدم في صرح الوجود القومي للأمة وتقطيع للصلة الثقافية الوحيدة التي تربط بين الأقطار العربية, وبينها وين الشعوب الاسلامية التي أخنت تفرض تعليم اللغة الفصيحة في بلادها (كما فعلت باكستان) لكي تزداد فهما للغة القرآن العظيم. والدعوة الثانية دعوة لا عقلانية, لن تبلغَ هدفها لأنها كما قلت مخالفة لشريعة الحياة.

فالازدواجية بين العامية والفصحى موجودة ٌفي كل اللغات. لذلك لا مناص من تعايش اللسانين ني الوطن الواحد. فالعامية هي لسان الحياة اليومية, وهي غالبا ما تكون مأخوذة عن الفصحى، واحيانا تكون اختصارا وتبسيطا لها. لذلك يستحيل إلغاؤها بقرار، مهما عظم شأن المرجع الني يصدر عنه.

ولعل مما يفرضه المنطق والعقل أن نسلم بتجاور اللسانين, ثم نجهد ها وسعنا الجهد ان نحول دون طغيان العامية على الفصحى، من خلال المحافظة عليها بالاساليب التي نكرتُ, ومن خلال تبسيطها وتطويرها لتكون أداة سهلة طيعة للاستعمال.

تبقى امامنا مشكلة تعريب الالفاظ والمصطلحات الاجنبية السائدة, وهي المهمة التي نحاول القيام بها مشكورة, مجامع اللغة في الوطن العربي. ولست أدري فيما اذا كان منحقي وانا المتطفل على الموضوع كله، التعرض لمسألة التعريب في وجود الأساتذة الاجلاء المشتغلين بهذه المسألة باعتبارها رسالتهم في الحياة.

غير ان تفشي الالفاظ والمصطلحات الاجنبية في المواد الاعلامية التي تنشر وتذاع على الأمر، والانتقاد الشديد الني توجهه مجامع اللغة للاجهزة الاعلامية بسبب هذه الظاهرة (وهي محقة في ذلك إلى حد ما) كل ذلك قد يغفر لي - كإعلاميّ قديم - أبداء رأيي المتواضع في مسألة التعريب.

إن علينا أن نعترف بداية بصعوبة المهمة التي تتصدى لها مجامع اللغة العربية في هذا المضمار. فنحن في الشرق ما زلنا عالة على الغرب في معظم ميادين العلم الحديث. والني يخترع شيا، هو الذي يضع اسما ملائما له. وحين كان العرب سادة الحضارة العالمية, كانوا يضعون لكل مكتشفاتهم أسماء عربية فـَرَضُوها حتى اليوم على لغات الآخرين. فأسماء النجوم والابراج والاسماء التي أعطاها العرب لكشوفهم في علوم الطب والزراعة والكيمياء والجغرافية والرياضيات والبصريات في العصور الذهبية لنهضتهم, ما تزال تحتل مكانها في لغات الغرب بصيغها العربية, مع بعض التعديل الني يتناسب وعبقرية هذه اللغات. وهذا دليل على ان المتقدم في ميادين العلم والاكتشاف, يفرض الاسماء والمصطلحات التي يضعها على غيره. ولهذا فنحن نجرى اليوم وراء لغات الغرب نأخذ منها ما استطعنا أخذه من الأسماء والمصطلحات إلى لغتنا العربية. وهذه التبعية اللغوية هي أحد مظاهر التبعية الحضارية. فاللغة القومية والامة القوية شرطان متلازمان. واللغة تزدهر بازدهار الامة وترتقي بارتقائها...حتى اذا ما انحدرت الامة انحدرت لغتها معها.

والتطور المستمر السريع في العلوم الغربية، يقذف علينا كل يوم المئات من الكلمات المصطلحات الجديدة المشتقة من جنور اللغات الغربية لا في مجال العلوم التطبيقية فحسب، ولكن في العلوم الانسانية ايضا كالفلسفة والاعلام والتاريخ والاجتماع وعلم النفس وغير ذلك. وهكذا فان عملية الابداع والاشتقاق والتركيب تجرى كلها في نطاق لغات حية متجددة. والعلم هناك يرفد اللغة، واللغة ترفد العلم. والاثنان يتحركان صعودا يدا بيد نحو آفاق ٍجديدة من الابداع الانساني. اما دورنا فهو للأسف محصور في الوقوف على حافة هذا البركان الذي تتفاعل في جوفه عبقرية العلم مع عبقرية اللغة،لنتلقى الحمم على السفوح ونحاول أن نعطيها (بعد أن تبرد وتتسرب منها حرارة التفاعل الخلاق بين العقل واللسان) هوية عربية, واسما عربيا, لذلك لا عجب ان تكون بعض محولاتنا في تطويع المصطلحات الاجنبية للغتنا الفصيحة, محاولات متعثرة لانها تظل سطحية قاصرة على التعبير عن حرارة الخلق الاول للمصطلحات في أحضان لغتها الاصلية. ولعل هذا هو السبب في أن وسائل إعلامنا, وبعض علمائنا ومفكرينا الذين درسوا العلوم الحديثة في الغرب, يميلون لاستخدام المصطلح الاجنبي ذاته, ولكن بحروف عربية, إما لان نظيره في اللغة الفصيحة لم يوضع بعد, وأما لأن الأصل الاجنبي أصدق أداء في نقل المعنى المطلوب، من المصطلح المعرّب، وهكذا نقرأ في كتاباتهم كلمات مثل (الجيوفيولوجيا, والفينوموفولوجيا، والانتربولوجيا، والديكالكية, والديناميكية مكتوبة بالأحرف العربية, وغير ذلك كثير.

غير ان المشكلة التي نواجهها في تعريب المصطلحات الاجنبية ليست مقصورة علينا وحدنا, بل تواجهها كل الشعوب التي تأخذ اليوم من حضارة الغرب وتنقل ثمرات فكره وحضارته الى لغاتها، لذلك فان هذه المشكلة تستدعي منا عنادا واصرارا في التغلب عليها, ليس لمواكبة حركة التقدم في العالم فحسب, ولكن لاثراء لغتنا الفصيحة نفسها، وتجديد حيويتها وابقائها داخل حلبة السباق مع اللغات الحية في هذا الكون.

وعملية (التبادل) بين اللغات قديمة قدم الحضارة الانسانية نفسها0 فلقد اخذنا من لغات الشعوب الاخرى، واخذت هي من لغتنا الكثير من الكلمات والمصطلحات في الماضي . ومن خلال اساليب التعريب المعروفة كالوضع والاقتباس، والاشتقاق, والقلب, والابدال، أدخل علماء اللغة العربية الكثير من الكلمات الاعجمية الى اللغة العربية حتى اصبحت منها, وضاعت منا أصولها حتى بتنا لا نعرف عنها الا القليل.

من يتصور مثلا أن كلمات السيف والفيل والبلطة, والبندق، والفردوس، والسوسن، والصندوق والاستاذ والالماس كلمات ذات أصول أعجمية.

نخلص مما سبق عرضه, أن وسائلَ الإعلام في استخدامها بعض التعابير والمصطلحات الاجنبية إنما تعكس قصورا ما تزال تعاني منه اللغة الفصيحة في مجال التعريب وان كان ذلك لا يعفيها (أعني وسائل الاعلام) من تهمة التقصير في توخي اللفظ الفصيح مكان اللفظ الاجنبي كلما كان ذلك ممكنا ومتاحا.

أيها السيدات والسادة: استميحكم العذر في هذه الاطالة، ولكن دعوني ألخص ما أسلفت. إن إشاعة استعمال اللغة الفصيحة في وسائل الاعلام, يتطلب قبل كل شيء إعادة الاعتبار للغة الفصيحة في المجتمع نفسه. كما يتطلب جعل تعليم اللغة الفصيحة في كافة مراحل التعليم وخصوصا في المراحل الأولى - ركيزة أساسية من ركائز سياسة التعليم في بلادنا. كما يقتضي الاهتمام بتعزيز مكانة الفصحى والحض على احترامها في كافة مجالات النشاط الإنساني، في الوزارات, والدوائر الحكومية, والتشريعات، والمداولات البرلمانية, وفيما ينشر على الناس باسم الادب والشعر والثقافة, وبعبارة اخرى فأن اعلاء شأن الفصحى ليس امرا منوطا بوسائل الأعلام وحدها (وإن كان لها دور مؤثر للغاية في هذا المجال) وانما هو أمر منوط بالأمة كلها, وبمؤسساتها التعليمية والثقافية على وجه الخصوص.

كذلك ينبغي على مجامع اللغة أن تستمر في جهودها المشكورة، لتطويع الفصحى للحياة وسدّ الثغرة بينها وبين علوم العصر، من خلال تعريب المصطلحات العلمية الحديثة, بحيث نصل إلى يوم تدرس فيه جميع العلوم في جامعاتنا ومدارسنا باللغة العربية كما هي الحال في الصين واليابان, وغيرها من دول العالم.

أما أجهزة الأعلام, فيجب النص في قوانينها على استخدام اللغة الفصيحة استخداما صحيحا في البرامج والمواد التي تقدم بالفصحى. وان تحاول هذه الاجهزة تقريب العامية من الفصيحة في البرامج والمواد التي لا مناص من تقديمها باللسان العامي . كذلك نقترح اجراء مسابقات في اللغة الفصيحة للذين يتقدمون لملء, وظائف المذيعين والمحررين في الاذاعة والتلفزيون، وتفضيل الاكفياء منهم على غيرهم في الحصول على هذه الوظائف. ونقترح ان تقدم جوائز تشجيعية للقدامى منهم, الذين ينجحون في استدراك ما فاتهم من معرفة باللغة الفصيحة عن طريق التعلم والمطالعة . ولقد يكون من المفيد توظيف (مراقبين) في الاذاعة والتلفزيون تكون مهمتهم ضبط نشرات الأخبار، والارتقاء بمستواها اللغوي ، وتشكيلها للمذيعين قبل إذاعتها على الناس.

اننى على يقين بأن هذه الإجراءات, كفيلة في حالة تنفيذها برد الاعتبار للغة الفصيحة, واشاعة استعمالها في اوساط الشعب من خلال وسائل الأعلام.

يبقى...ان (العزم) هو الذي يسبق القرار, ويهدي اليه, ويصنعه.

فهل عزمنا على أن نهي اغترابنا عن اللغة الفصيحة, ونجدد شبابها , ونجدد بها، وان نجعلها عنوان وجودنا، واساس نهضتنا؟

ذلك هو السؤال الكبير.

وحين نقصد العزم, يهون أمامنا كل صعب. ويسهل علينا كل شيء. وقديما قيل (أنا صدق العزم وضح السبيل)

أشكركم أيها السيدات والسادةوالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تعقيب: عقب الدكتور محمود ابراهيم - مدير الندوة - على كلمة الأستاذ محمود الشريف بقولة:

جميل أن نسمع هذا الجزء الأخير من كلام الأستاذ محمود، على الرغم من أن الغرب تفوّق علينا اقتصادياً وعلمياً وعسكرياً، ينبغي أن لا يجعلنا نؤمن بان هذا التفوق لا بدّ أن يبنى عليه شعورنا بالانسحاق الحضاري, وتسليمنا بما نعاني منه من تراجع لغوي. وهنا أذكر على سبيل المثال أن الناس في بلد كأيسلندا, وأيسلندا جزيرة صغيرة جدا، يصرّون على أنْ لا يدخل لغتهم من اللغات الأجنبية الا القليل جدا,على أساس أنهم لا يريدون أن تطغى اللغات الأجنبية على لغتهم, على الرغم من أنهم أبناء جزيرة صغيرة. والمثل الذي أكره أن أورده كذلك، هو العدو الصهيوني المجاور لنا. فأية لغة كانت لهؤلاء الناس في فلسطين قبل عام 1913؟ ومع ذلك فهم الآن يستعملون اللغة العبرية في جميع مسارب الحياة عندهم, بما في ذلك لغة العلم والتقنية في جامعاتهم. ثم إن معرفتنا موضع الضعف فينا لا يعني بالضرورة أن نتقبل هذا الضعف، إذ ينبغي أن نرفض السيء، من أجل أن ننطلق إلى وضع أفضل, كما فعلت أمم أخرى من قبلنا.

وأعود إلى قضية اللغة القياسية، لغة وسائل الأعلام, فأقول إن أجهزة الاعلام يفترض أن تكوّن لدى المستمعين ما يسمى اللغة القياسية. ففي بريطانيا مثلا كانوا يسمّون اللغة القياسية أو الراقية (kings English) اللغة الملكية. ومع الزمن, أصبحوا يسمنونها (English B.B.C) أي لغة هيئة الإذاعة البريطانية. وفي أمريكا يسمون اللغة القياسية (network English) أي لغة وسائل الأعلام. وليس لنا نحن العرب من لغة قياسية الا اللغة العربية الفصيحة. فهل نخطط في أجهزة إعلامنا لكي تكون هذه اللغة العربية الفصيحة هي اللغة القياسية, اللغة المرجعية، ولا سيما أنه منذ أن تنزل القرآن الكريم وخُط ّبالقلم, أصبح يكوّن لغة مرجعية مكتوبة للناطقين بالعربية. فهل نستغل هذه المعطيات الجديدة للتقنية من أجل أن نؤكد أن عربيتنا الفصيحة هي اللغة القياسية التي ينبغي أن تكون لغة مشتركة عامة بين الناطقين بالعربية حيثما كانوا. لعل الأستاذ أحمد يلقي ضوءا على الموضوع.

كلمَة

الأستاذ احمد العنـَانيبسم الله الرحمن الرحيم

موضوعات الإعلام وسدانة اللغة الفصحى أمور سهلة الاتساع والتشعب, سريعة الاشتعال لاتصالها بقضايا وعواطف عميقة الأوتار في قلوبنا, لهذا أرى ابتداءً تحديد أبعاد الموضوع التي نتناوله في هذه الندوة تحديداً يحفظنا بحرص في إطار موضوعي بالغ الوضوح.

وسائل الإعلام هي قنوات لمخاطبة السمع والبصر بأسلوب متميز, ممتع ومثير، وذلك للتأثير في قناعات وسلوك أكبر عدد ممكن من الناس المستهدفين إعلاميا.

أهم هذه القنوات في عصرنا الحاضر دون ريب هي الصحف والتلفزيون والاذاعة والسينما والمواد المسجلة والملصقات, والخطب والشعر.

إشاعة اللغة الفصحى معناها توسيع نطاق التكلم عفوياً أو شبة عفوي بلغة عربية التركيب مُعْرَبَةٍ كليا أر جزئيا عربيةِ الأسلوب والنسبة الكبرى من المفردات

يبدو لي عدلاً آن يقال الآن إن المبحوث عنه في هذه الندوة بات واضحا وضوحا حاسما قاطعا.

وأرى مفيدا جداً أن نظل نتذكر أن اللغة - أي لغة - هي نشاط إنساني يتطور بالممارسة تماما كالمشي والركض وذلك وفق الأنماط المتاحة من تلك اللغة ومدى تأثيرها في النفوس. ومن المعلوم أنه حتى في الشعر والنثر الفني هنالك مواطن معينة يَكـُمُنُ فيها تأثير ساحر يضفي جماله على سائر العمل الشعري أو الأدبي بفضل عوامل معينة متوفرة في تلك المواطن كما يرى الناقد الانجليزي المعروف أبَركرومْبي. ويمكن أن يقال عموماً إن أهم تلك العوامل ما يلي:

أولا :- المضمون المقنع.

ثانيا:- المضمون المقدم بأسلوب مميز وجميلوثالثا:- المضمون السلس الانسيابي الني يتوقف القارئ لمناقشة أمر شاذ فيه أو التضايق منه.

ومن النماذج الصالحة لبيان أثر تلك العوامل تلك الأقصوصة الطريفة للمقطوعة الشعرية البديعة «قل للمليحة في الخمار الأسود» فقد رُوِيَ أن بائع بزّ (قماش) عَجَزَ عن تصرف مجموعة كبيرة من الخُمُر (أغطية الرأس والصدر) السوداء اللون والتي استثمر فيها رأسماله القليل، فلما أعيته الحلة دون بيعها لجأ إلى شاعر في المدنية معروف فعاد الشاعر إليه آخرَ النهار بهذه المقطوعة اللطيفة التي أدت إلى بيع كل بضاعة ذلك الرجل وبسعر أفضل بكثير مما كان يقَدّر أو يرجو:

قل للمليحة في الخمار الأسود ماذا فـَعَلـْتِ بناسك متعبد

قد كان شمّر للصلاة ثيابه حتى عَرَضْتِ له بباب المسجد ردّي عليه صلاته وصيامه لا تقتليه بحق رب محمد

وقيل إ ن نساء المدينة وجواريها تقاطرن على ذلك البائع لا ينشدن إلا خمره السوداء حتى نفقت جميعها لتكون كل منهن تلك المليحة التي ألهت عابدا عن عبادته بحسن منظرها في الخمار الأسود ...

والمضمون في هذه الأقصوصة الشعرية كما نرى سهل ومقنع، والأداء سليم طريف، وعذب سلس.

لكن علينا أن نعلم أن الاسلوب السهل الشائق يجب أن يكسو مضمونا مقنعا ومحببا, وكذلك فان جدوى المضمون الجيد قليلة إذا كان أسلوب التقديم خشنا جاسيا، أو حوشيا منفرا.

ويبقى الضبط الاعرابي في كل عمل أدبي جزءاً لا يتجزأ من ضبط الشكل أو الأسلوب، ذلك بأن الموسيقى الشعرية الداخلية في مقاطع نثرنا الفني والخارجية أيضا في قوافي الشعر تلعب دوراً في مجمل الأثر الجمالي لبلاغة لغتنا ورسالتها الخالدة.

**القرآن الكريم ذلك النمط الأوحد والأعظم**

لا يبقى للغة الفصحى تراث ولا ثبات على قياس, ولا عنصر حافظ لوجودها ضامن لديمومتها مؤكد لعبقريتها وتفوقها واقتدارها على التجدد لو وهن النمط القرآني أو ضعف

أثره وقداسته في النفوس.

ان الارتباط بين المضمون والشكل في القرآن الكريم هو حامل سرّ الإعجاز الإلهي في ذلك الكتاب الكريم. انه ارتباط قياس جمالى وموسيقى، وهو الجزء الأساسي من عبقرية القرآن وخاصيته وبلاغته، وسر تأثيره ودوامه وانتشاره، وهو ارتباط أقوى من العوامل المغيرة للزمان والمكان والمناسبة. ومن شاء مثلا فليقرأ في كتاب ككتاب الاعتبار لأسامة ابن متذ من القرن السادس للهجرة، ولينظر بعده عن سهولة الفهم والفهم والتذوق السريع رغم كل طرافة موضوعاته، وليقارن ذلك بالنمط القرآني، ولير كيف لا تشيب للقرآن ناصية من الدهر، ولا يختلف أثر ولا جرس ولا وتع. منا وإن كتاب الاعتبار ليهون أمره كثيرا إذا قيس بكثير جداً ممّا ألفّ قبلة وبعده.

القرآن هو نمط العربية الأسمى وهو الذي ترك ويترك آثار جلية ًفي كلام المسلمين وكتاباتهم وسائر أنشطتهم التعبيرية. إنك لتجد الرجل العاميّ من المسلمين يقولها لك في مناسبها قولة ًمتقنة ًمعربة (انا لله وانا إليه راجعون) أو«قل لن يصيبنا إلا ما كتبَ الله لنا» أو «ولا تـًزِرُ وازرة ٌوزْرَ أخرى»» إلى مئات التعابير التي تلقى للسامع صحيحة معربة من أناس عوام.

ومهما تكن بلاغة المحللين وقدرة الناقدين فإن سرّ عظمة القرآن هي من سرّ الله جل جلاله. فالقرآن مضمونا يحوي إشارات علمية وأساليب علمية منها ما يختص بالأجنّة، ومنها الفلك والطب وعلم الاجتماع. ومنها الأحياء والنبات وكل ما يختص برسالة القرآن الأولى وهي التذكير بأساس الوجود الانساني ومصيره ودلائل ذلك في كل ما بنفس الانسان وخلقه وبما يحيط به... وهو يحوي المثل الأعلى للسرد القصصي المؤثر السلس المتوازن، وللأداء الأدبي المعبر في وصف الكون ومرائي الخلق وبدائع القدرة.

واذا ما دخل الناس عصر السرعة والأداء الخاطف فذلك له أنماطه القرآنية المعجزة سهولة ًوحركة ًوسرعة أداء وإفهام واذا ما جنح أهل العلم والنزاهة والبحث إلى هدوء المنطق وتمهّل التعبير وإحكام القول، فنماذج ذلك المثلى منتشرة في كتاب الله كما في سور الأنبياء والحج والنحل مثلا، وليس هناك أدنى شك بأن النمط القرآني له أسلوبه المتميز في كل اتجاه، وأن الإعراب أمر أساسي فيه وليس عَرَضيا لارتباطه الوثيق بمعانى العبارات ومعنى التركيب العام والموسيقى الداخلية للتركيب العربي، وأين قولك بالعربية السليمة

أحببْ حبيبك بعضَ الحب، وهذا التشويه الذي استحدثته الترجمات السقيمة من لغات الأمم والذي يقال فيه احببته الى درجة كبيرة أو درجة متوسطة.

**الإعلام والقران وتراث الفصحى**

إن خطورة الإعلام في علاقته بالفصحى أمر لا يحتاج إلى دليل, ويوم كان القرآن هو أداة التعبير الاولى المفضلة في إعلامنا كان القرآن يهيمن بنمطه التعبيري على كتاباتنا وخطبنا وسائر أشكال أدائنا الشفوي والخطى وكان النمط القرآني هو الذي يضفي سحر الابداع على تأليفنا, ولقد وصل الأندلسيون في شعرهم ونثرهم حداً لا مزيد عليه من الأداء الجمالي العظيم بكثرة ودقة اقتباسهم وتضمينهم من القرآن الكريم.

إن على أجهزة إعلامنا أن تعاود اعتبار التعبير القرآني مثلا أعلى للنمط السليم الجميل من الأداء, وعليها أن تضمن إيجاد أفضل العناصر التزاما بذلك النمط وتأثراً به, وإحكاما للأداء على نهجه إعراباً وأسلوبا ومضمونا, ولإ شك أن تبني الأمة جميعا النمط القرآني هو مما يوجد الجوّ العام المعزز والمهوّن للدور القيادي للاعلام في هذا السبيل. إن على صحفنا ألا تدع حتى الاعلانات التجارية تمرّ دون رقابة وضبط على وفق نمطنا القرآني الاسلامي. وعلى مناهجنا التربوية, وسلوكنا العملي في المدارس والمعاهد أن يندرجا تحت رسالة القرآن ويضمنا الأخذ المؤثر بالنمط القرآني.

أن مكاننا على الأرض، وقدر أنفسنا، وقدرتنا على الحفاظ على الوطن مرتبطة جميعا بالديمومة الناشطة لمشخـّصاتنا الثقافية وعلى رأسها القرآن الكريم مثلنا الأعلى في كل مجالات حياتا الإعلامية وغير الإعلامية، فعسى الله تعالى أن يهديا لمقطع الحق في هذا الأمر وهو حبا ونعم المولى ونعم النصير.

تعقيب: عقب الدكتور محمود ابراهيم - مدير الندوة - بعد كلمة الأستاذ أحمد العناني بقوله:الواقع أن ثمة الكثير مما يمكن أن يقال في ندوة كهذه. ولكن ما من مشارك في ندوة، الا وهو يشعر بعد انتهائها بانه لم يقل الا القليل بالنسبة الى ما كان يعتمل في ذهنه. وقد كنت أودّ أن تنتهي الندوة بالحديث عن مقترحات وتوصيات محددة بالنسبة إلى الموضوع الذي نعالجه, موضوع دور أجهزة الأعلام في إشاعة العربية الفصيحة. ولكن لعل من المفيد أن تكون مثل هذه الاجابات منبثقة عن تساؤلات يتقدّم بها الاخوة والاخوات من المستمعين, لعل تساؤلات كهذه تستوجب بان يجاب عليها بمقترحات وتوصيات محددة.

سؤال: كيف يمكن أن نجعل الناس في البيت والمجتمع والبيئة المحلية يتكلمون اللغة الفصيحة؟

أود أن أقول للاخ السائل إنه حتى في زمن امرىء القيسي وأصحابه من شعراء المعلقات لم يستعمل الناس في احتياجاتهم اليومية لغة المعلـّقات واللغة الفصيحة في أعلى مراتبها. كل ما هنالك, كان ثمة نوع من التقارب ما بين اللغة الأدبية ولغة الحياة. ولا نتصور مطلقا أنّ الناس في أيّ عصر من العصور كانوا يتكلمون في حياتهم اليومية, اللغة الأدبية الراقية التي نقرؤها في المخلـّفات الشعرية أو في المخلـّفات الأدبية الأخرى. فالرسول عليه الصلاة والسلام تحدّث أحد أصحابه في حضرته وأخطا في اللغة، فقال لأصحابه الآخرين: (أرشدوا أخاكم فقد ضلّ). ونحن لا نقف ضد التيار الطبيعي, ولا يمكن أن اتصور, وانا مدّرس للغة العربية منذ مدة طويلة، أن اذهب الى صاحب الفرن لاشتري الخبز باللغة العربية الفصحى, أو لاشتري الفاكهة باللغة العربية الفصحى, لأن هذا الامر مخالف لطبائع الأشياء. ولذا فإن الذي نهدف اليه هو:-

أولا: أن يكون ثمة نوع من التقارب، عن طريق أجهزة الاعلام، ما بين العربية الفصيحة والعامية، لكي تصبح العامية شكلا من أشكال اللغة المفصّحة القريبة

من اللغة العربية الفصحى, على الاقل في ألفاظها, اذ إنـّنا لا يمكن أن نشكل مفردات اللغة في حديثنا اليومي.

ثانيا: أن يألف الانسان العربي اللغة العربية الفصيحة فيما يسمعه ليل نهار من أجهزة الأعلام، لكي يستطيع عند اللزوم أن يتحدث بها دون تلعثم, وأن يفهمها وان يستعملها تلقائيا كتابة وقراءة وحديثا, وأن يستوعبها استماعا. وأظن أن هذا أمر ممكن جدا. وانا استطاعت أمم أخرى أن تفعل ذلك بالنسبة إلى لغاتها اليومية، فنحن بلا شك قادرون على ذلك. وهنا أذكر أنني كنت في ندوة سنة 1978 في تونس، وتحدثت في الندوة عن اللغة العربية الفصحى, فقام أحد إخواننا من تونس ليقول, إن كان لابد من لغة عربية تستعمل في حياتنا , فلتكن العربية العامية, لأنها لغة الحياة, ولأنها أكثر حرارة, فالعربية الفصيحة كما قال، هي لغة قد ماتت وتجمّدت ولم تعد لها علاقة بحياتنا. وقبل أن أردّ عليه, وكان المؤتمر يضم رجالا ونساء من أقصى بلاد الشرق الى أقص بلاد الغرب, قامت امرأة بولندية لتقول له:إنك مخطئ فيما تقول. فنحن في بولندا نستعمل في حياتا اليومية لغات ولهجات مختلفة، ولكن لنا لغة قياسية واحدة مشتركة فيما بيننا, وهي اللغة التي تجمع بين أباء بولندا جميعا. فالذي نريده إذن, أمر معقول وممكن وعملي. نريد التقارب بين العامية والفصحى, ونريد الألف ما بين الإنسان العربي والعربية الفصحى.

وأذكر في هذه المناسبة أن هنالك أطفالا في هذا المجتمع، بعد أن استمعوا الى مجموعة من المسلسلات العربية الفصيحة, أخنوا يتكلمون بعربية فصيحة تقليدا لما سمعوا. وقد سمعت طفلا في السادسة والنصف من عمره يقول بصورة تلقائية: «لا تنبس ببنت شفة», دون أن يشعر أنه يتحدث بلغة غير عادية.

الخاتمة:في ختام لقائنا هذا, أكرر شكري العميق للزميلين الكريمين الأستاذ محمود الشريف والأستاذ أحمد العناني, ولكل أخ وأخت منكم, ولا سيما أولئك الذين تقدّموا بتعقيبات على هذه الندوة, أو تساؤلات حول ما جاء فيها.